

الحلقة الرابعة والأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل لديك هدف معين تسعى من أجله في حياتك يا صديقي؟ وما هو هذا الهدف؟ وهل هو هدف أني مؤقت؟ هدف مادي يتعلق بالحياة الحاضرة فقط؟ كأن يهدف البعض لجمع ثروة كبرى، أو لتحصيل الشهادات العالية، أو للحصول على الشهرة الواسعة وتبوء المناصب العالية؟ بالطبع قد تختلف الأهداف بين شخص وآخر. وليس هذا فحسب بل إن الأهداف تتبدل وتتغير مع نمو الإنسان. فعندما يكون الإنسان يافعاً في سن المراهقة قد يحلم بتحقيق أهداف كبيرة معينة. لكن عندما يدخل معترك الحياة لا بد أن تتبدل أهدافه، ويصبح أكثر واقعية.

قد يكون للبعض أهداف معينة يسعون من أجلها. لكن السؤال هو: هل هذه الأهداف هي حقاً الأهداف التي يجب أن يسعى الإنسان من أجلها، ويبدل الغالي والرخيص في سبيلها؟ أولاً تختلف الأهداف بنوعيتها؟ فهناك أهداف آنية مؤقتة، وهناك أهداف سامية تستمر حتى إلى ما بعد هذه الحياة. ولكي نوضح ما نقصد من هذه التساؤلات، فإننا نقبس قول المخلص المسيح لتلاميذه، عندما قال لهم:

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا، وَمَنْ يَهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدَهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (متى ١٦: ٢٤-٢٧). سنتأمل الآن بحديث المسيح الهام هذا.

صديقي المستمع، تحدّث المسيح لمن يريد أن يضع هدفاً لحياته بأن يتبعه فقال: أن عليه أن يُنكر ذاته، أي يتخلّى عن أنانيته، ويحمل صليبه ويتبعني. أي يسير في درب الآلام والتضحية، هذا ما يعنيه حمل الصليب. لكن السؤال هو: لماذا طلب المسيح من الذي يريد اتباعه حمل الصليب؟

لقد استخدم المخلص المسيح صورة مجازية عن حمل أتباعه لصلبانهم ليتبعوه. فلقد كان الصلب إحدى الوسائل الرومانية لتنفيذ الإعدام. وكان على المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام أن يحملوا صلبانهم ويسيروا في الشوارع إلى موقع تنفيذ الحكم. أي أن اتباع المسيح يعني التسليم الكامل له، والمخاطرة حتى الموت. ثم أوضح المخلص المسيح ما يقصد عندما تابع قائلاً: «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدُهَا». إن الإنسان الذي يضع أهدافاً أرضية مؤقتة لحياته فقط، يهلك نفسه، مع أنه يظن أنه يخلصها. بينما المرء الذي يهلك نفسه من أجل أن يتبع المسيح، ويحمل الصليب يومياً، يربحها.

وهنا طرح المسيح هذا التساؤل الهام: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» أي ماذا ينفع المرء إذا حقّق كل أهدافه الأرضية، حتى أنه ربح كل العالم، لكن في النهاية خسر نفسه؟ وماذا يستطيع الإنسان عندها أن يقدم مقابل نفسه الباهظة الثمن؟ وختم المخلص المسيح حديثه الهام قائلاً: «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجدٍ أبهى مع ملائكته، وحينئذٍ يجازي كل واحدٍ حسب عمله» أكد المسيح بذلك أن الحياة على الأرض ما هي إلا حياة مؤقتة تمهّد للحياة الباقية الخالدة. وأن ما نزرعه هنا على الأرض لا بدّ أن نحصده هناك أي ما بعد الموت.

والملفت للانتباه في تصريح المسيح قوله: أن ابن الإنسان أي المسيح، هو الذي سيأتي عند انتهاء العالم في مجيئه الثاني الباهر العظيم لكي يدين البشر جميعاً. فلقد أعطى الله الآب كل السلطان للرب يسوع المسيح بعد قيامته الظاهرة لكي يدين العالم. وأنه بالتالي هو الذي سيقدر مصير كل إنسان.

مستمعي الكريم، نستنتج من حديث المخلص المسيح، أن هناك أهداف كثيرة يستطيع الإنسان أن يضعها لحياته. لكن هناك هدف أسمى وأعظم منها جميعاً، هو هدف اتباع المسيح. إن الإنسان الذي لا يعرف المسيح، يجعل الحياة الحاضرة هي كل شيء بالنسبة له، وهي هدفه النهائي، ولهذا سيخسر الحياة الأبدية. بينما الحقيقة هي أن هذه الحياة الحاضرة ما هي إلا مقدّمة للحياة الآتية الأبدية. هل تعلم مستمعي أن كيفية قضائنا لهذا الزمن القصير هنا، هي التي تقرر مصيرنا الأبدية؟ وأن كل ما نحققه من أهداف على

الأرض حتى ولو كانت عظيمة جداً، لا يمكن لها أن تضمن لنا الحياة الأبدية؟

إن المهم هو أن نقيّم كل ما نضعه من أهداف وما يحدث معنا، على ضوء الحياة الأبدية الآتية. أي تكون لدينا وجهة نظر أبدية نقيّم من خلالها الأهداف التي نضعها وما ننجزه في هذه الحياة. وعندما يكون عندنا هذا المنظار نستطيع أن نختار الهدف الحقيقي الأسمى لحياتنا، وهو اتباع المسيح.

لكن قد تسأل صديقي كيف أجعل هدفي هو أن أتبع المسيح وأنكر نفسي وأحمل الصليب؟ إنه سؤال هام، وللإجابة نقول: إن البداية تكون بالتوبة عن خطاياك، والإيمان القلبي بالمخلص المسيح وبموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة، حينئذ يغفر الله ذنوبك وتصبح من أولاد الله، وتتأكد من نوالك للحياة الأبدية. وعندما تعلن إيمانك بالمخلص المسيح، فإن هذا يعني اتباعك للمسيح وإنكارك لنفسك ولمباهج العالم. وستتعرض عندها للاضطهاد والآلام من قبل أهلك وأصدقائك وزملائك والمجتمع من حولك. أي تحمل الصليب سائراً في درب الآلام والتضحية والمخاطرة بالموت. لكن في مقابل هذا كله ستريح نفسك الثمينة.

إذ كما قال المخلص المسيح أيضاً: «أَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (بشارة يوحنا ٥: ٢٤). أي لن يدينك المسيح يوم الدينونة بل تنتقل مباشرة إلى الحياة الأبدية. فهل تراك صديقي تتبع المسيح حقاً فتربح نفسك؟